تفسير إبن كثير

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

وقوله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله) قال البخاري : حدثنا الحسن بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن يحيى ، حدثنا حيوة بن شريح ، عن بكر بن عمرو ، عن بكير ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رجلا جاءه فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الآية [الحجرات : 9] ، فما يمنعك ألا تقاتل كما ذكر الله في كتابه ؟ فقال : يا ابن أخي ، أعير بهذه الآية ولا أقاتل ، أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول الله - عز وجل - : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) إلى آخر الآية [النساء : 93] ، قال : فإن الله تعالى يقول : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) ؟ قال ابن عمر : قد فعلنا على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه : إما أن يقتلوه ، وإما أن يوثقوه ، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة ، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد ، قال : فما قولك في علي

وعثمان ؟ قال ابن عمر : ما قولي في علي وعثمان ؟ أما عثمان فكان االله قد عفا عنه ، وكرهتم أن يعفو عنه ، وأما علي فابن عم رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وختنه - وأشار بيده - وهذه ابنته أو : بنته - حيث ترون .وحدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا بيان أن وبرة حدثه قال : حدثني سعيد بن جبير قال : خرج علينا - أو : إلينا - ابن عمر - رضي االله عنهما - فقال رجل : كيف ترى في قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد - صلى االله عليه وسلم - يقاتل المشركين ، وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم على الملك .هذا كله سياق البخاري ، رحمه االله .وقال عبيد االله ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا إن الناس قد صنعوا ما ترى ، وأنت ابن عمر بن الخطاب ، وأنت صاحب رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فما يمنعك أن تخرج ؟ قال : يمنعني أن االله حرم علي دم أخي المسلم . قالوا : أو لم يقل االله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله) ؟ قال : قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين كله الله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لغير االله .وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أيوب بن عبد االله اللخمي قال :

كنت عند عبد االله بن عمر - رضي االله عنهما - فأتاه رجل فقال : إن االله يقول : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله) فقال ابن عمر : قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله الله ، وذهب الشرك ولم تكن فتنة ، ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لغير االله . رواهما ابن مردويه .وقال أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : قال ذو البطين - يعني أسامة بن زيد - لا أقاتل رجلا يقول : لا إله إلا االله أبدا . قال : فقال سعد بن مالك : وأنا واالله لا أقاتل رجلا يقول : لا إله إلا االله أبدا . فقال رجل : ألم يقل االله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله) ؟ فقالا قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين كله الله . رواه ابن مردويه .وقال الضحاك ، عن ابن عباس : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) يعني : [حتى] لا يكون شرك ، وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع عن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وزيد بن أسلم .وقال محمد بن إسحاق : بلغني عن الزهري ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا : (حتى لا تكون فتنة) حتى لا يفتن مسلم عن دينه .وقوله : (ويكون الدين كله الله) قال الضحاك ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : يخلص

التوحيد الله .وقال الحسن وقتادة ، وابن جريج : (ويكون الدين كله الله) أن يقال : لا إله إلا االله .وقال محمد بن إسحاق : ويكون التوحيد خالصا الله ، ليس فيه شرك ، ويخلع ما دونه من الأنداد . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (ويكون الدين كله الله) لا يكون مع دينكم كفر .ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - أنه قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا االله ، فإذا قالوها ، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على االله ، عز وجل وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : سئل رسول االله - صلى االله عليه وسلم - عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل االله ، عز وجل ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة االله هي العليا ، فهو في سبيل االله ، عز وجل .وقوله : (فإن انتهوا) أي : بقتالكم عما هم فيه من الكفر ، فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم ، (فإن االله بما يعملون بصير) كما قال تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن االله غفور رحيم) [التوبة : 5] ، وفي الآية الأخرى : (فإخوانكم في الدين) [التوبة : 11] .وقال : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين الله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على

الظالمين) [البقرة : 193] . وفي الصحيح أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف فقال : لا إله إلا االله ، فضربه فقتله ، فذكر ذلك لرسول االله ، فقال لأسامة : أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا االله ؟ وكيف تصنع بلا إله إلا االله يوم القيامة ؟ قال : يا رسول االله ، إنما قالها تعوذا . قال : هلا شققت عن قلبه ؟ ، وجعل يقول ويكرر عليه : من لك بلا إله إلا االله يوم القيامة ؟ قال أسامة : حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم .